خطبة

دافع الوساوس

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

خطبة

دافع الوساوس

بقلم:

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني
المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

اسم الكتاب: خطبة دافع الوساوس

الطبعة الحديثة: ١٤٣٢ هـ /٢٠١١م

Khuṭbah Dāfi‘ul-Wasāwis

(Arabic)

By: Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad (Peace be on him)***, the Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Aḥmadiyya Muslim Jamā‘at***.

First Published in UK in 2011 by:
Al-Shirkatul Islamiyyah Limited
Islamabad
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Tilford

ISBN: 978-1- 84880-419-7


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

في عامَي ٩٣-١٨٩٢ كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام كتاب "مرآة كمالات الإسلام"- واسمه الثاني "دافِع الوساوس"- وقد جاء في ثلاثة أقسام، أوّلها: مقدمة قصيرة باللغة العربية، وثانيها: الجزء الأول بلغة الأردو، وثالثها الجزء الثاني باللغة العربية. وقد طبعنا القسم الثالث من قبلُ منفصلا باسم "التبليغ" كما فعل المسيح الموعود عليه السلام، أما المقدمة العربية التي عُرفت بـ "خطبة دافع الوساوس" فها نحن ننشرها الآن.

علًما أن "خطبة دافع الوساوس" هي أوّل ما كتبه حضرته عليه السلام باللغة العربية. ولقد عبَّر عليه السلام فيها عن ألمه الكبير للهجوم الشرس الذي شنّه أعداء الإسلام -ولا سيما القسيسين- على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، فقال:

"وما آذَى قلبي شيءٌ كاستهزائهم في شأن المصطفى، وجَرْحِهم في عِرْضِ خيرِ الوَرى. ووالله، لو قُتلتْ جميعُ صبياني، وأولادي

وأحفادي بأعيني، وقُطِّعتْ أَيدي وأَرجُلي، وأُخرجتِ الحَدَقةُ من عيني، وأُبْعِدتُ من كلِّ مرادي وأَوْني وأَرَني.. ما كان عليّ أشَقَّ من ذلك".

وتوجّهَ حضرته الطَّيْلا للمشايخ المعارضين أن يتركوه يدافع عن الإسلام ضد الهجمة النصرانية الرهيبة، فقال:

"وإني أَعزِمُ عليكم بالله الرحمن، أن تَذَرُوني مجادِلاً بأعداء المصطفى والفرقان، وتُمِدُّوني بكَفِّ اللسان. إنْ أَكُ صادقًا فسوف يُريكم الله صدقي وثباتي، وإنْ أَكُ كاذبًا فكَفَى اللهُ لإجحاتي وإسحاتي. فلا تُشمِتوا بي الأعداءَ، ولا تَعتدُوا ولا تُطيلوا الإيذاء. ولَعِلْمُ الله أَوسعُ من عِلمكم، هو يعلَم في نفسي ما لا تعلَمون. وإن لم تَنتهُوا فستُرجَعون إلى الله ثم تُسأَلون."

وفي هذا الكتاب ثلاثة أدعية يجدر أن تُكتب بأحرف من نور، وهي:

(١) "رَبِّ يا ربّ، اسْمَعْ دعائي في قومي، وتضرُّعي في إخوتي. إنّي أتوسَّل إليك بنبيّك خاتَمِ النبيّين، وشفيعٍ ومشفَّعٍ للمذنبين. رَبِّ أَخرِجْهم من الظلمات إلى نورك، ومِن بَيداءِ البُعْدِ إلى حضورك.

رَبِّ ارْحَمْ على الذين يلعَنون عليّ، واحْفَظْ مِن تَبِّك قومًا يقطَعون يَدَيَّ. وأَدْخِلْ هُداك في جِذْرِ قلوبِهم، واعْفُ عن خَطيئاهم وذنوبهم. واغْفِرْ لهم وعَافِهم، ووَادِعْهم وصَافِهم. وأَعْطِهم عيونًا يُبصِرون بها، وآذانًا يسمَعون بها، وقلوبًا يفقَهون بها، وأنوارًا يعرِفون بها. وارْحَمْ عليهم، واعْفُ عما يقولون، فإنهم قومٌ لا يعلَمون."

(٢) "رَبِّ أَحْيِ الإسلامَ بجهدي وهمتي ودعائي وكلامي، وأَعِدْ بي سَحْنَتَه وحِبْرَه وسِبْرَه، ومَزِّقْ كلَّ مُعانِدٍ وكِبْرَه. رَبِّ أَرِني كيف تُحيي الموتى. أَرِني وُجوهًا ذوِي الشمائل الإيمانيةِ، ونفوسًا ذوي الحكمة اليمانية، وعيونًا باكيةً من خوفك، وقلوبًا مُقْشعِرّةً عند ذكرك، وأصلاً نقيًّا يرجِعُ إلى الحق والصواب، ويتفيّأُ ظِلالَ المَجاذيبِ والأقطابِ، وأَرِني عَرَائِكَ ساعيةً إلى المتابِ والإعدادِ للمآبِ. ربِّ ظهَر الفسادُ في البرّ والبحر، والعِمارات والصحراء، وأَرَى عبادَك في البلاء، وحيطانَك بالبَيداء، ودينَك في البأساء والضرّاء، وأَرَى الإسلامَ كمحتاجٍ تَرِبَ بعد الإتراب، أو كشيخٍ مرتعشٍ تَباعَدَ من زمان الشباب، أو كشُذّاذِ الآفاقِ، أو كغريبٍ تَناهَى عن الرِّفاق، أو كحُرٍّ ابتُلِيَ في الإرقاق، أو كيتيمٍ سقَط من

الآماق. يَميسُ الباطلُ في بُرْدِ الاستكبار، ويُلطَمُ الحقُّ بأيدي الأشرار. يَسعَون لإطفاءِ نورِه سَعْيَ العفاريتِ، واللهُ خيرٌ حافظًا ومَنْ لنا غيرُ ذلك الخِرِّيتِ؟"

(٣) "رَبِّ بوجهِ المصطفى ودرجتِه العُليا، والقائمين في آناءِ الليل والغازين في ضوء الضحى، ورِكَابٍ لك تَعدُو السُّرَى، ورحالٍ تُشَدُّ إلى أُمِّ القرى، أَصْلِحْ بيننا وبين إخواننا، وافْتَحْ أبصارَهم، ونَوِّرْ قلوبَهم، وفَهِّمْهم ما فَهَّمتَني، وعَلِّمْهم طُرقَ التقوى، واعْفُ عما مضَى. وآخرُ دعوانا أَن الحمد لله ربّ السماوات العُلَى."

هناك أمور أخرى لا بد من التنويه إليها، وهي:

١- لقد اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأُولى الصادرة في زمن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عام ١٨٩٣م، والمحفوظةِ حاليًا في مكتبةِ "الخلافة" المكتبةِ المركزية للجماعة بربوة، باكستان.

٢- لقد كتب حضرته عليه السلام تحت بعض الكلمات أو الجمل العربية معنى أو تعليقًا أو توضيحًا، فترجمناه ووضعناه في الهامش، كما أضفنا من عندنا بعض الهوامش التوضيحية.

ولا يسعنا أخيرًا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء لإخواننا الـذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم الأساتذه الأفاضل: المرحوم مصطفى ثابت، المرحوم موسى سرور نايف، المرحوم طه القـزق، المرحوم عطاء الله كليم، موسى أسعد عودة، هاني طاهر، تميم أبو دقة، سيد عبد الحي شاه، جميل الرحمن رفيق، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خان، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، مبشر أحمد كاهلون، الحافظ مظفر أحمد، عبد المجيد عامر، محمد أحمد نعيم، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر، جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

وأخيرًا، نبتهل إلى الله - جل شأنه - أن يجعل هذا السِّفْر المبارك سببا لهداية كثير من عباده رحمةً منه وفضلاً، آمين.

الناشر

بسم الله الرحمـــن الرحيـــم

نحمده ونصلّي على رسوله الكريم

يا حيٌّ يا قيّومُ برحمتك أستغيث،

ربِّ يسِّرْ ولا تُعسِّرْ وتمِّمْ بالخير •

الحمدُ للهِ الذي نوّر عيونَ المؤمنين بمصابيح الإيمان، وأيّد قلوب العارفين بفهم دقائقِ العرفان، وألْهمَهم نكاتٍ وأسرارًا وعلــومًا ما يُلقّاها إلا من أُوحِيَ مِن الرحمن.

• *لقد كتب حضرته عليه السلام هنا أربعة أبيات بالفارسية وفيما يلي تعريبها:*

حبُّك دواءٌ لألفِ مرضٍ يا إلهي، وأقسمُ بوجهك الكريم أن الحرية الحقيقية إنما هي أن يصبح الإنسان أسير هذا الحب.

البحث عن ملاذك ليس عمل المجانين، بل هو قمة الذكاء.

لن أخفي ثروة حبّك أبدًا لأن إخفاءها خيانة.

وإني مستعدّ للتضحية بروحي وحياتي في سبيلك، لأن الصداقة الحقيقية هي تسليم الروح إلى الحبيب. (الناشر)

وجعلهم شموس الأرض وحُجج الدِّين وحِرْز الأمــان. وأضرمَ في الخافِقَيْن نارهم وبلّغ أذكارهم فــي الآفــاق والأحْضان. وجعلهم منهلاً لا يغور، ومتاعًا لا يبــور، وجعل أعداءهم كعصْفٍ مأكولٍ، أو كقِرْفٍ سـقط مـن الإهان. وجعلــهم أسْعدَ ناسٍ لا يرهقهم ذلّةٌ ولا يغشاهم دخان، ولا يضرّهم طعــنُ المِطْعــان. قــد هــاجروا الأوطان، وتبتّلوا إلى الله الرحمن. بهر قمــرُهم، وثــرّ ثمرُهم، وكان معاداتُهم عنوان النحوس، وإيذاؤُهم لباس ذي البُؤس، وشِعار الشّقيِّ الــمرْقعان. فنحمد الله على آلائه الذي أرسل عُرفاءَه وخلفاءه وأوليــاءه لتخلــيص الناس مِن نعاس الغفلة وأيدي الشيطان. الــذي طهّــر الأنفاسَ من رجس الأوثان، ووضَع الفأسَ على أشجار الخبث والعصيان. الملِك الحكيم الودود، الــذي خلــق الشمس والقمر لتنوير ظاهرِ العــالَمِ، وخلــق الأنبيــاء

والرسل والمحدّثين لتنوير بواطن نوعِ الإنسان، وأقـــام الشريعة وأدخل في أُخْراتِها فُحول الوقـــتِ ومَـــصاليت الدوران. سبحانه، ما أعظمَ شأنَه! هو مرسِـــلُ الرُّســـلِ ومسهِّلُ السُّبلِ ومؤسِّس الأديان، ومُتِمُّ الحجّةِ فـــي كـــلّ أوان، وكلّ يوم هو في شانٍ. خبع الأسرار وأترعَها في كلّ عين من الأعيان، فبأَيِّ أسرارِه يحيط الإنـــسانُ. لا تقعدوا في خيمة العقل وحده وقد سقط البُوانُ، واسْـــعوا إلى الله بإمحاضِ الطاعة وإخراجِ غيره عـــن الجَنـــان. ويلٌ لكلِّ جامدٍ سامدٍ عقر النفس وأبار، **وطُـــوبى لِمَـــنْ سنّ وسار،**• وجاهد في سُـــبُل الـــرحمن. والـــصلاة والسلام على سيدِ رسله وخاتمِ أنبيائه وإمـــام أوليائـــه وسُلالة أنواره ولُبابِ ضيائه.. الرسول النبيّ الأُمّـــــيّ المبارك.. الذي سدّد للرَّعـــاع، وشـــفى الأنعـــام مـــن

• *ورد تحت هذه الجملة باللغة الفارسية: إنها إلهام من الله تعالى. (الناشر)*

الـــدُّكاع، وبيّن للأتباعِ أحكام الفرقان بأحسن البيـــان، وفجّر ينبـــوع نفثاته كالرِّثانِ، وأتى بالكتاب الذي فيـــه لكلِّ أَكُولةٍ مرعى وزُلالٌ لكلّ عطشان. وأخرجَ الأجِنّـــة من ظلماتٍ ثلاث: شـــركٍ مطوِّحٍ من الجِنان، وأعمـــالٍ محرقةٍ في النيرانِ، وأخلاقٍ مقلِّبةٍ من الفطرة الإنـــسيّة إلى طبائعِ السِّباع والثعبان. الناصح الموقظ الذي أشفق على الناس كلّ الإشفاق، وأذهب الوسنَ مـــن الآمـــاق، وأعطى الأفْرُخَ الضعيفة قُـــوتَ الزفيـــفِ والطيـــران. وهدى الناس إلى أهدى سبيلٍ، وأطرد النفوس بين وَخْدٍ وذَميل. وجعل الأُمّـــة أمّـــةً وسطًا سابِقَ الأمـــمِ فـــي اللمعان كأنها الأزْهرانِ، وجذبهم بقوّته القدســـيّة حتـــى أصحبوا لـــه أطْوعَ مِن حذائه في كل موطنٍ وميـــدان. وكمّل النفوس وربّى الأشجار حتى استأثر الثمرُ وتسمّنَ ومالت الأغصانُ. فدخلوا في دين الله مجـــدِّين شـــارين

أنفسهم ابتغاءَ مرضات الله الرحمن. وزُلزِلوا زلزالاً شديدًا حتى ضاق الأمر عليهم والتقتْ حلقتا البِطانِ. فارتحلوا مدلجين راضين بقضاء الله على ضعفٍ من المريرة، حتى أشرقتْ عليهم شمسُ نصر الله ونزلوا فرِحين برَوحٍ وريحان. ودخلوا في حضرة الله بجميع قوّتهم، وكسروا قيودًا عائقةً، وأوثانًا مانعةً من ذلك الإيوان. وجعلوا نفوسهم عُرضةً لمصائب الإسلام، ونسوا كلَّ رُزءٍ سلَفَ قبل هذه الأحزان. وباتوا لِربّهم سُجّدًا وقيامًا، وما طعموا النوم إلا مثاثًا من الأوان. وفنوا في اتّباع رسول اللهِ، وما أبدعوا وما خرجوا في استقراء المسالك مِن كلام الله الحنّان، واقتحموا كلَّ مَخوفةٍ لدين الله الرّيّان. وقطعوا للهِ ورسوله مِن كلّ وليّ وحميم، حتى برّزوا السيوف من الجِفان، وآثروا أسمالاً على ألبسةِ تنعُّمٍ ودلال، ونضَّوا عنهم لذّة البطن

ورَوْح البال، وقنِعوا بالحميم من الزُّلال، وتراءت الدنيا في أعينهم كالإِران. واتّقَوا الله حقّ التّقاة في الأفعال والكلمات، وفزِعوا مِن فتن اللُّسْن وحصائد الألسنة، حتى صاروا كبِكْرٍ خَفِرةٍ في إيثار الصمتِ وكفِّ اللسان، وحذوا مثال رسولِ الله ﷺ في أقوالهم وأفعالهم، وحركاتهم وسكناتهم، وأخلاقهم وسِيرِهم، وعِمارةِ الباطن والاقتيان. فأعطاهم الله قلبًا متقلّبًا مع الحق، ولسانًا متحلّيًا بالصدق، وجنانًا خاليًا من الحِقْد والغِلِّ والشّنآنِ. رضِي الله تعالى عنهم وأحلّهم جنّاتِ الرضوان. ندب إلينا ذِكرهم بالخير، إنهم برهان رسالة سيدِنا وحجةُ صدق مولانا ونجومُ الهدى ووسائل الإيقان. كلٌّ واحد منهم أوذيَ في سبيل الله، وعُنِّيَ فيما وُلِّيَ، وخُوِّفَ بالسّيف والسِّنان. فما وهنوا وما استكانوا

حتى قضوا نحبهم وآثروا المولى على وُجودٍ فانٍ. تلك أُمّةٌ روحانية وقومٌ موجَعٌ لخدِينٍ أحبِّ الأخـــدانِ.

فأيها الناس، صــــلُّوا وسلِّموا على رسولٍ حُشِرَ الناس على قدمِه، وجُذِبوا إلى الربّ الـــرحيم المنّـــان. الـــذي أخرج خَلْقا كثيرا من الـــمفاوز المهلـــكة المبرحة إلى روضاتِ الأمن والأمان، وشجّع قلوبًا مزءودة، وقـــوّى هِممًا مجهودة، وأبدع أنوارًا مفقودة، وجاء بأبْهى الدُّررِ واليواقيت والمرجان. وأصّل الأُصول وأدّب العقـــول، ونجّى كثيرًا من الناس من سلاسل الكفـــر والـــضلالة والطغيان. وسقى المؤمنين المسلمين الراغبين في خيره كأس اليقين والسكينة والاطمئنان، وعصمهم مِن طُرق الشرّ والفساد والخسران، وهداهم إلى جميع سبل الخير والسعادة والإحسان. ومِن جملة مِننِه أنه أخبرنا مِن فتن آخر الزمان، ثم بشّرنا بتأييدٍ وتداركٍ من الربّ المنّان.

اللّهمّ فصلِّ وسلِّمْ على ذلك الشفيع المشفَّع المنجي لنوع الإنسان، وأيِّدْنا أن ننتجع ونستفيض مِن حضرة هذا السلطان، ونجِّنا به مِن شرِّ كلّ يدٍ قاسطةٍ، بالجور باسطةٍ، ومِن علماء يسعون لتطلُّبِ مَثالبِ الإخوان، وينسون معائبهم كلّ النسيان. لا يحصر لسانُهم عند السبِّ واللّعن والطّعن والبهتان، ولكن يحصر عند شهادة الحقّ وبيان الحقيقة وإقامة البرهان. يعظون ولا يتّعظون، ويدَعون ولا يَدْعون، ويقولون ولا يفعلون، ويُفسدون ولا يُصلحون. ويشُقُّون ولا يحُوصون، يُكفرون بغير علم ولا يخافون. ويحثّون الناس على الخير وهُمْ على شرِّهم راصعون. ويقولون للمؤمنِ: لستَ مؤمنا، ولا يبالون مِن أخْذ الله تعالى ولا يتفكرون. **اللّهمّ** فاحفظْنا من فتنتهم وبرِّئْنا من تُهمتهم، واخصُصْنا بحفظك واصطفائك وخيرِك، ولا تَكِلْنا إلى

كلاءةِ غيرك، وأوزِعْنا أن نعمل صالحًا ترضاه. نسألك رحمتك وفضلك ورِضاءك، وأنت خيرُ الراحمين.

ربِّ كُنْ بفضلك قوّتي، ونور بصري وما في قلبي، وقِبلة حياتي ومماتي. واشْغَفْني محبّةً، وآتِني حُبًّا لا يزيد عليه أحد من بعدي. ربِّ فتقبّلْ دعوتي وأعطِني مُنْيتي، وصافِني وعافِني، واجذِبْني وقُدْني، وأيِّدْني ووفِّقْني، وزكِّني ونَوِّرْني واجعلْني جميعًا لك، وكُنْ لي جميعًا.

ربِّ تعال إليّ مِن كلّ باب، وخلِّصْني من كلّ حجاب، واسْقِني من كلّ شراب، وأَعِنّي في هيجاء النّفْسِ وجذباتها، واحفظْني مِن مَهالِكِ البينِ وظلماتها، ولا تَكِلْني إلى نفسي طُرْفةَ عين، واعصِمْني من سيّئاتها، واجعلْ إليك رفعي وصعودي، وادخُلْ في كلّ ذرّة من ذرّات وجودي،

واجعلْني من الذين لهم مسْبَحٌ في بحارك، ومسْرَحٌ في رياض أنوارك، ورِضاءٌ تحت مَجاري أقدارك، وباعِدْ بيني وبين أغيارك.

ربِّ بفضلك وبنورِ وجهك أَرِني جمالك، واسْقِني زُلالك، وأَخرِجْني من كل أنواع الحجاب والغبار، ولا تجعلْني من الذين نُكسوا في الظلمة والاستتار، وتَناهوا عن البركات والإشراقات والأنوار، وانقلبوا بعقل◆ الناقصِ وجَدِّهم الناكصِ مِن دار النعيم إلى دار البوار. وارزُقْني إمحاض الطاعة لوجهك، وسُجودَ الدوام في حضرتك، وأعطِني همّةً تحلّ فيها عينُ عنايتك، وأعطِني شيئا لا تعطيه إلا لوحيدٍ من المقبولين، وأنْزِلْ عليّ رحمةً لا تنزلها إلا على فريد من المحبوبين.

◆ *هكذا في الأصل، ولعلها: بعقلهم. (الناشر)*

ربِّ أَحْيِ الإسلام بجهـــدي وهمتـــي ودعـــائي وكلامي، وأَعِدْ بي سحْنَتَه وحِبْرَه وسِبْرَه، ومَزِّقْ كلَّ مُعانِدٍ وكِبْرَه. ربِّ أرِني كيف تُحيي الموتى. أرِني وُجوهًا ذوي الشمائل الإيمانية، ونفوسًـــا ذوي الحكمـــة اليمانية، وعيونًا باكيةً من خوفك، وقلوبًا مقشعِـــرّةً عند ذكرك، وأصلاً نقيًّا يرجع إلى الحق والصواب، ويتفيّـــأُ ظِلالَ المجاذيب والأقطاب، وأرِني عرائِكَ ساعيةً إلـــى المتاب والإعداد للمآب.

ربِّ ظهر الفساد فـــي البـــرّ والبحـــر، والعمـــارات والصحراء، وأرى عبادَك في البلاء، وحيطانَك بالبيداء، ودينَك في البأساء والضرّاء، وأرى الإســـلامَ كمحتـــاجٍ تَرِبَ بعد الإتراب، أو كشيخٍ مرتعش تباعدَ من زمـــان الشباب، أو كشُذّاذِ الآفاقِ، أو كغريـــبٍ تنـــاهى عـــن الرِّفاق، أو كحُرٍّ ابتُلِيَ في الإرقاق، أو كيتيمٍ سقط مـــن

الآماق. يميس الباطلُ في بُرْدِ الاستكبار، ويُلطَمُ الحــقُّ بأيدي الأشرار. يسعون لإطفاء نوره سَعْيَ العفاريــت، واللهُ خيرٌ حافظًا ومَــنْ لنا غير ذلك الخِــرِّيت؟ انْتهى أمرُ الدينِ إلى الكساد، وثارتْ بالأحداث حصْبَةُ الفــساد وجُذامُ الارتداد. خرجوا مِن قيــود الــشريعة الغــرّاء، ونبذوا أنفسهم بالعراء. تركوا أسوةً حــسنةً، واتّخــذوا الفلاسفة الضالّة أئمّــةً، واستحْلَوا كلامهم واســتجادوا أوهــامهم، وأُشــرِبوا فــي قلــوبهم عِجْــلَ خيــالاتِ اليوْرفِين•، وما هم إلا كجسدٍ له خُوار، ومــا شــمُّوا عرْفَ العارفين.

وأيْمُ اللهِ، قد كنت أُقمتُ مِن الله لأجدّد الدين بإذنــه، وأجدعَ أنْفَ الباطل مِــن مارِنه، وأُمــرتُ لذلك من الله القدير البديع، فلبّيتُ دعوته تلبية المطيـــع، وبلّغــتُ

• أي الأوروبيين. (الناشر)

أوامره وبذلت فيها جهد المـــستطيعِ. فارتـــاب القـــوم بعَزْوتي، وأبوا تصديق دعوتي، وسُبِرَ فيه غورُ عقلهم ودعوى نقلهم. فاشتعل المبطلون، وظنّوا بي الظنـــون، ونهضـــوا إليّ بالتكفير، وما لهم بذلك مِن علمٍ مثقـــالَ القِطْمير. دخلوا فيما لم يعلموا، وأخذوا اللعن شِـــرعةً، ولم يفتّشوا حقيقةً. وكلٌّ ذلك كان مِن لهبِ الغِلِّ، أَخَذَهم كداءِ السلِّ.

وأما أنا فما كنتُ أن آبى مِن أمر ربّـــي، أو أفتـــري عليه مِن تلقاء نفسي. هو محسني ومنعمي. أسبغَ علـــيّ مِن العطاء، وأتمّ عليّ من كلّ الآلاء، وأعطاني توفيقًـــا قائدًا إلى الرشد، وفَهْمًا مُدرِكًا للحقّ، وآتاني ما لم يُؤْتَ أحدٌ من الأقران، وإنْ هي إلا تحديث بآلاء الرحمن. هو كفلني وتولّى، وأعطى ما أعطى، وبشّرني بخير العاقبة والأُولى، ودنا مني وأدنى، وحمدني مِن عرشه ومـــشى

إليّ، ورفعني إلى السماوات العُلى. وتلــك كلهــا مــن بركات المصطفى، الظلُّ بأصله اقتدى، فرأى ما رأى. فالآن لا أخاف ازدراءَ قادحٍ، ولا هَتْكَ فاضحٍ، وأفوّض أمري إلى الله. إنْ أكُ كاذبًا فعليّ كذبي، وإنْ أَكُ صادقًا فإن الله لا يضيع أمر الصادقين.

والرُّزْءُ كُلّ الرُّزءِ أنّ أعــداء الدين اختلسونا الراحةَ بتوهين سيدِنا رسولِ آخرِ الزمان، وضلَّ سعيُ علمائنا في تكفير المسلمين وإخــراج الإخــوان مــن الــدين والإيمان. فهذه عُضْلةٌ سقطتْ على الإســلام، وداهيــةٌ نــزلتْ على دين خير الأنام. وجبتْ شموسُ العلــوم، وقلّتْ أشجارٌ طيّبة، وكثرتْ شجرةُ الزّقّــومِ، ولم يبــق إلا أطلالُ العلماء وفضلة الفضلاء، إلا ما شاء الله. فلمّا أضاعوا حقيقةً، ضاهــوا سقــطًا.

يا حسرةً على العلماء! إنهم بمقابلة الأعداء كالظالِعِ الأعمى في زلجِ البيداء، ولكــن للإســلام والمــسلمين كالسِّباع أو البــلاء النازل من السماء. لم يبق فيهم علمٌ وحلم وتفقُّه وتدبُّر، إنْ هم إلا أسماء خالية من الــذكاء، مملوّة من الكبر والخيلاء، إلا الذين تداركَهم لُطْــــفُ الكبرياءِ، وسبقتْهم رحمةُ أرحم الرحماء، فهم مبــرَّءُون من هذا الداء، بل هم كالتِّرياق لهذا الوباء، وحُجّــة الله على الأشقياء، وهم أوّلُ السعــداءِ والنجباء والشرفاء. في قلوبهم حرارةٌ إسلامية، لا يمسّهم بردُ هذا الــشتاء. هم عميدُ الإسلام، وعمادُ دين خير الأنام، وهم ملــوكُ الدين، تُجلَب الخيراتُ مِن حرمِهم، ويُرجى كلُّ مطلوب مِن كرمهم. وهم خزنةُ أسرار الشرع، ومهرةُ الأصول والفرع. سلّمهم الله تعالى وأبقاهم، وعادى من عاداهم، ووالى من والاهم.

أيّها العلماء الطاعنون في ديني ببهتان الإلحاد، واللاعنون عليّ بتهمة الارتداد، أتعلمون لِمَ آويتُ ذِكْركم بين ذكر نعتِ الرسول الكريم، وما أظنّ أن تعلموا بغير التعليم. فاعلموا أن مقصدي مِن هذا أمرانِ توأمانِ شمّرتُ كشْحي لهما، ومُنْيتان متشابهتان سألتُهما من ربّ الأرض والسماء.

الأمر الأوّل: استمالتُكم بذِكر الرسول المقبول والشفيع المأمول، الذي تعالى شأنُه عن العقول، وتداركَ قُرْبُه شقاوةَ المخذول. فضممتُ ذِكْركم بذكر المصطفى، لعلّي أجد شفاء صدوركم من هذا المأوى، ولعلّكم تذكرون خاتم الأنبياء وشأنه الأعلى، وشَرْزَه الذي هو شرزُ الله الأغنى، فيملِككم الأدبُ والهيبة والخشية والتقوى، ويحصُل لكم حَدسٌ صائب وجنانٌ تائب وقلبٌ أخشى، ويبعُد منكم عند ذِكره سيْلٌ قد اقترب منكم ودنا،

وتلين جلودكم وتقشعرّ قلوبكم، وتسمعون ما أقول لكم. ولا تتّبعوا كلّ قريحة تأبى.

فاتّقُوا لِلّهِ يا إخواني، وعنـــد ذكـــر رســـول الله ﷺ تأدّبوا، واخفضوا جناحكم في حـــضرته ولا تـــشمّخوا، وادخلوا في السِّلم ولا تفرّقوا، وأطيعـــوا ولا تمزّقـــوا، وتواخوا ولا تعادوا، وصِلُوا ولا تقطعوا، وابتغوا سُـــبُلَ رضاء الله ولا تيْـــأسوا، وكُفُّوا ألسنتكم، عبـــادَ الله، ولا تعتدوا. أتُخـــرِجون أهل قِبلتِكم من دينكم ولا تخافون؟ وتدَعون إخوانكم ولا تدْعون؟ وتجدون علـــى أنفـــسكم ولهم لا تجدون؟ وتُكفرون المسلمين المصلّين الصائمين الموحِّدين القـــائمين علـــى حـــدود الله، ولا تبـــالون؟ أشركاؤكم في كلمتكم كفّار، ما لكم كيـــف تحكمـــون؟ أرفقاؤكم في قِبلتكم أغيارٌ، انْظروا ما تقولـــون؟ أنحـــنُ

نفِــرٌ من رسول الله ﷺ؟ اتّقوا الله أيها المعتدون. أكَفَرْنا بالله ورسوله؟ اتّقوا الله أيها المفترون.

تجرؤون على سبِّ الإخوان، واللهُ منعكم من سـب ّ الأوثان؟ وتؤذون● المؤمناتِ القانتات، واللهُ منعكم مــن قتل الكافرات المشركات. أإِكفــارُ المــؤمنين حــسنة، والقولُ بوفاة المسيح معصية؟ ما لكم؟ أين تقواكم؟ وأيّ شيء أغشاكم؟ أين ضبأتْ فِراستكم وإمعــانكم؟ وأيــن ظعن علمكم وعرفانكم؟ أدُرِّسْــتم فــي فُهْــرِ اليهــودِ، ولُقِّــنْــتم مِن فنِّ الفندِ المنضود؟ رضيتم بالقذر، وقــد نُصحتم للحذر. نسيــتم يوم الــدين، وصِــرتم لِعــسلِ الإسلام كالــمحارين.

● *ورد هنا في الأصل بالهامش باللغة الأردية: هذه إشارة إلى فتوى أعلنوا فيها ضدنا: فليتخطَّفْ نساءَهم من شاء، ولا إثَم عليه. (الناشر)*

يا إخوان التُّرّهات، احْذروا من يوم المؤاخذات. ما تعرفون إلا ظواهر القرآن، ثم تكذِّبون أرباب العرفان. قنِعتم على قشر الكتاب، وما مسّ عقلُكم باللّباب. أخذتم ظهْر القرآن وحذافيره، وتحسبون أنكم نزحتم بِيره. ومنكم مَن صَبَّغَ البهتان، وواضَخَ الهذيان، وجهَر السبُعِيّة كعسّارةٍ، وكوّس عقول الناس بإغلاطٍ وإدارةٍ، وثوّر عليّ كلّ غثٍّ ذي شرارةٍ، وحرّف كلماتي وقرضها كفأْرةٍ، وأفِد إلى التحقير والتوهين، وخرد عِرضي كالمجانين، وسعى إلى تُنّاء الثغورِ وقُطّانها، ليُهلكهم مِن شجرة الشَّجرِ وأغصانها. فنَأْنؤوا الرأي بإغلاطه، وزلّتْ أقدامهم وأطالوا لُسْنهم وأمخطوا بإمخاطه، وأنِفوا مِن قبول الحق وأكلوا من مُخاطه. فكلُّ سليطةٍ لعنتْ عليّ وسبّتْ، وكلُّ ذِيخةٍ نبحتْ، وكلُّ ناقةٍ عشواء لبزتْ، وكلُّ مُناضل رمى سهمه وما

تراخى، فمُطِرْنا حتى صارت الأرضُ سُوّاخى. ونهض علينا كلُّ جفْرٍ وجنين، ولم يغادر من لعنٍ وطعن وتكفير وتوهين. وقرضوا عِــرضي كقرْضِ الفُويــسقةِ أوراق القرآن، وصالوا عليّ كصولة حبشيٍّ على بيت الرحمن.

فلما رأيتُ تَغَرَ قِدْرِهم للفساد وقدرتَهم علــى الإفنــاد والإيقاد والإطراد، جهشتُ إلى الله الرحمن مِن حفْشهم عليّ كأمواج من الطوفان. فسمع الله دعائي وتضرّعي والتجائي، وبشّرني بفتوحاتٍ من عنده، وتأييداتٍ مــن جُنده، وقال: "لا تخفْ، إنني معك، وماشٍ مع مــشيك. أنت مني بمنــزلة لا يعلم الخلْقُ. وجدتُك ما وجــدتُك. إني مُهين من أراد إهانتك، وإني مُعين من أراد إعانتك. أنت مني، وسِرُّك سرّي، وأنت مرادي ومعــي. أنــت وجيه في حضرتي. اخترتُك لنفسي".

هذا ما بشّرني ربي وملْجئي عند أربـــي. ووالله لـــو أطاعني ملوكُ الأرض كلّهم، وفُتحتْ عليّ خزائن العالم كلّها، ما أسرّني كسروري من ذلك. ربِّ، إني مُلئتُ مِن آلائك، وأُشربتُ من بحار نعمائك. ربِّ، بَلِّغْ شكري إلى أرجاء سمائك، وتعـــال وادخُلْ في قلبي بجميع ضيائك. إني آثرتك ورسولك على سواك، وانسلختُ من نفـــسي وجئت راغبًا في رضائك. ولك هذه أشـــعاري، وأنـــت محبوبي وشِعاري ودِثاري.

ننگ ونام وعزّتِ دنيا ز داماں ریختیم
یار آمیزد مگر با ما بخاك آمیختیم
دل بدادیم از کف وجاں در رهی انداختیم
واز پئے وصلِ نگار حیله ها انگیختیم*

---

*تعريب هذين البيتن بالفارسية كالآتي: تخلَّينا عن شرفنا وسُمعتِنا وعزّتِنـــا الدنيوية. لقد تمَّ لنا الوصالُ بالحبيب، ولكن بعد أن صِرنا غبارًا. لقد سلَّمْنا

ثم أستأنفُ قصّتي الأولى وغُصتّي العظمى.. أن العلماء ما وجدوا من سهم إلا رموا إليّ، وما من بلاء إلا أنزلوا عليّ؛ وأمطروا عليّ بهتاناتٍ لا أصل لها ولا أثر، ولم يُغادَر في ذمي نظمٌ ولا نثر◈. فلما رأيت تباعُدهم عن الصواب وتصاعُدهم في الارتياب، لم أجد بدًّا من تأليف هذا الكتاب، فكتبتها بدموعٍ سائلة، وحسراتٍ شائلة، وبذلتُ جهد نفسي لإزالة شبهاتهم، وإظهار هفواتهم، وأسألُ الله تعالى أن يجعل بركةً كثيرة فيه، ويرُخّ في النفوس الضيّقة معانيه.

له القلبَ، وألقينا في سبيله النفسَ، فكم من حيلة لجأنا إليها من أجل وصاله. (الناشر)

◈ ورد هنا في الأصل بالهامش باللغة الفارسية: هذه إشارة إلى ما نظمه المنشي سعد الله وما كتبه الشيخ البطالوي وغيرهما من المشايخ من سباب وشتائم. (الناشر)

وها أنا بريء مما يقولون، ويعلم اللهُ ولا يعلمــون. لستُ من الكافرين والملحدين والمرتدّين، وإنْ أنــا إلا يوسف في المسجونين. قد أُرسلت لأضع عنهم سلاسلهم وأغلالهم، فكيف أخاف إكفارَهم، وأعلمُ حــالهم؟ ومــن يقُــمْ على مصادٍ، ما يخفْ من وِهادٍ؛ ومن يشربْ من كأسِ وصالٍ، ما يُبالِ مِن مكفّرٍ ضالٍّ. وإني أعــلم مِن ربّي ما جئتُ به مِن كوكبٍ، فلا يُزعجنــي ضبُبــاحُ ثعلبٍ. فاتّقُوا الله ولا تبخْــتروا بدجاحكم•، ولا تُتــادوا الخلْق على نباحكم. ما لكم لا تكبحــون أفــواهكم ولا تكمحون، ولا تتركون التبلّخ والتبذّخ وبِعَيْثِكم تفرحون. وتُكفرون الناس بغير علم وأنتم فيها مُفرِطون. إنْ كان فينا وفيكم اختلاف فقد اختُلِف مِن قبل، وكم من اختلافٍ

• *هكذا في الأصل، ولعله: "بوجاهكم" أو "بدجاجكم". (الناشر)*

رحمةٌ لو كنتم تعلمون. واللهُ يحكم بيننا وبينكم في الدنيا ويوم القيامة، وينبّهكم على ما كنتم فيه تختلفون.

يا قوم، مَهْلاً بعض تلك الظنون، فإنّ بعض الظنّ إثم، ما لكم لا تفهمون. وما جئتُ بكذبٍ ولا فِرْيةٍ ولا شيءٍ يخالف سُنن الهدى، ولكن عُمِّيتْ عليكم، فكيف أزُخُّ فيكم ما لا تمسّون. وستذكرون ما أقول لكم، وأفوّض أمري إلى الله؛ هو ربّي ينظر إلى قلبي، ويجد فيه ما لا تجدون.

يا قوم، لِمَ أفْرطتم في أموركم، ونبذتم القرآن وراء ظهوركم؟ أتقْتدون غير الفرقان، وأنتم تعلمون. إن الذين يتبتّلون إلى ربّهم لا يخافون شقاق أحدٍ، وبوعْدِهِ ساكنون. اطمأنّوا بالله مولاهم، وعليه يتوكّلون. يسمعون به، وينطقون به، وبنوره ينظرون. يطّلعون على غرائب علومه، وعلى أسراره يشرفون. وإنْ كنتم

في شكّ من أمري فاقرؤوا كتابي، وتدبّروا في جوابي، واسألوا الله ما في قبابي، إن كنتم للحق طـــالبين كمـــا يطلب الصادقون. فاسْألوا ولا تملُّوا. وطهِّروا النيّـــاتِ ولا تُلطِّخوا. وادعوا في آنـــاء ليـــاليكم ولا تـــسأموا. وانتظِروا وقت الرحم وتَرقّبوا. وجاهِدوا حقّ جهـــادكم تُكشفْ عليكم وتهتدوا. طُوبى لمن جاء بقلـــبٍ منيـــب وسليم. طوبى لمن جاء بفهمٍ مـــستقيم. طـــوبى لِـــروْعٍ ينتجع عند الشبـــهات، ويسأل الله تفهـــيم العويـــصات. طُوبى لقدمٍ تطاوعُ الرِجْلَ على الفـــرار مِـــن مواقـــع الافتتان بِغِيبة الإخوان والإكفار. وطوبى لعينٍ حـــداها الحق إلى صواب، وعصمها مِن طرق فـــسادٍ وتبـــاب. وطوبى لخطواتٍ تنقل إلى حسنات، وتصرف مِن خُططِ الخطـــيّات. وطوبى لنفـــسٍ زُكِّيتْ مِن فوْرتها، وطوبى لأرواح أُعـــطُوا مِن غُلّةِ الحقّ وسَورتِها. وطوبى لفكرٍ

لا يعلم اللغوب، ولا ينثني حتى يرى المطلوب. وطوبى لكلّ غريبٍ وحليم، وطوبى لمِن حُبِّب إليه الربّ الكريم.

يا قوم، قد أناخ الأعادي بساحتنا مِن عبيد العِباد وقسّيسين، وأمطروا علينا حجارةً مِن طين الشياطين. حسبوا التِبْرَ تُرابًا، والحياة تبابًا، والنور نارًا، والنافع ضارًّا. داخت فِتنتهم، وضنأتْ دعوتهم. شغبوا على الإسلام، وجاءوا بالفتن العظام. سرى سحرُهم في كل حجرٍ وشجرة، ومذرتْ مِن نفسِهم كلُّ مَدَرة. يراءون ماضِرهم كاللبن السائغ، ويصولون على الصدِّيقين بالقلب الزائغ. فقَدِمَ بقدومهم فوجُ همِّنا، واجتمعتْ كتيبةُ غمِّنا. وسئِمنا تكاليفهم متجرّعين بالغُصص، حتى طُبعتْ في المطابع مصائبنا كالقصص. وَدَّعَ طِيبَ عيشنا خوفُ هذا المقام، ووجدنا إذا وجدنا لهب هذه

الأيامِ. دمس الليلُ علينا من الغموم والأفكار، ووقعْنا في حيصٍ بيصٍ وتنمُّرِ الأطوارِ.

يا قوم، هذا قوم كذّبوا ديننا، وأضلّوا أحداثنا، وقرفوا رسولنا بالافتراء، وولجْنا المضائق بولوجهم، وأصابنا عرجٌ بعروجهم، وأُرغمتْ معاطسنا بالتوهين والاستهزاء، فأتى وقت أن نتضرّع بحضرة الرحمن، ونتأوّه آهةَ الثَّكْلانِ، ونقرع بابه قَرْعَ مُصابٍ، ونسأله كشْف الضرّ والنجاة من عذابٍ، لتتحرّك من الله رحمتُه الغرّاء، وتسكن الضوضاء، ويجيء بعد مكابدة العناء يومُ رَوحٍ وريحان مِن قبل أرحم الرحماء، وتنزل سكينة القلب وقرّة العين، بعد معاناة الأَينِ ومداناة الحَينِ.

يا قوم، أدْرِكوا ريحكم قبل أن يذهب، وأَرْضُوا ربّكم قبل أن يسخط ويغضب. ولا تكونوا أوّلَ جارحٍ لدينه،

ولابِزٍ على آياته وبراهينه. لِمَ بادرتم إلى الإساءات في وقت المواساة، وإلى الفصل في وقت الوصل؟ ألا ترون فساد أبناءِ النفّاثات، إخوانِ التُّرّهات. فثأونا بالكلمات المؤذيات، وآذونا بتوهين سيّدِ السادات وتكذيب كتاب الله جامِعِ البركات، وتَوطّؤونا بلُسْنِهم وأَرْجلهم، وخلبوا أحداثنا بأيدي الأطماع ولطائف حيلهم، وصاروا للإسلام كالـمُوصِب، وللمسلمين كالذِّيب. فسقطنا في شِصْبٍ شديدٍ تداكأتْ آفاتُه، وفي يد الله إجحاتُه وإسحاتُه. يردُسون على ديننا، ويصولون على عِرض نبيِّنا وخدينِنا.

فيا هكْرًا على إسلامكم! لا تتيقّظون من منامكم. ألا ترون قد جاء وقت الانتهاء، وهطل رُكامُ الأعداء، وضاقت الأرض علينا بالبأساء والضرّاء. اعلموا أن هذا اليوم للإسلام يومٌ مَحْتٌ، وجنّتُه مَرْتٌ، وإنْ لم

يتدارككْ رَوْحُ الله فقَلتٌ. إن الكفار زيّنوا الدقارير، وذمّوا المِسْك والعبير، ونُقص القرآن فـــي العيـــون، وقُـــوِّمَ بالدُّونِ، قُدّتْ تلابيبُه، ورُدّتْ أعاجيبُه، وغُلِـــث البـــولُ بالماء، ورُجِّحت الظلمةُ على الضياء، وأطاروا عيسى بإفراطِ الإطراء، وجعلوا الله الوحيد ذا البنات والأبناء، وعدلوا بالله عبده، وأوقعوا الناس في الليلـــة اللّـــيلاء، ونحتوا للرسول الكريم بهتاناتٍ، وأضلُّوا خلقًـــا كثيـــرًا بتلك الافتراء. وما آذى قلبي شيء كاستهزائهم في شأن المصطفى، وجَرْحِهم في عِرض خير الـــورى، ووالله، لو قُتلتْ جميعُ صبياني، وأولادي وأحفـــادي بـــأعيني، وقُطّعتْ أيديَّ وأرجلي، وأُخرجت الحدقةُ مـــن عينـــي، وأُبعدتُ من كلّ مرادي وأَوْني وأَرَني.. ما كان علـــيّ أشقَّ من ذلك. ربِّ انظُرْ إلينا وإلى ما ابتُلينا، واغفرْ لنا

ذنوبنا واعفُ عن معاصينا، لا يتغير أمرٌ بدون تغييرك، ولا يأتي ولا يُرَدُّ بلاء إلا بتقديرك.

وأنتم، يا معشر العلماء، بسأُتُم بالدنيا ونُعاسِها، ولذّاتِ دُكاسِها. ومنكم من ثاختْ قدمُه في وحْل العيسائية، ومالَ مِن قومٍ أشْعثَ أغبرَ إلى أرباب الزينة والزَّرْبيّة، لِيستوفي حظّه مِن رَخاخ الدنيا وجيفتِها، وليجني جنى شهواتِه ويتلبّس بقطيفتها. ومنكم قوم وقعوا في المكالبة بينهم لتفشو على الأعداء شُنْعتُهم وشَيْنُهم، فآذى بعضهم بعضًا، ورَضَخَ وبَدَحَ وبَذَخَ، وطرَح ثوب السلم وفسَخ. وعاثَ كلُّ حزب في إخوانهم كعيث الذِيبِ في الغنم، وأراد أن يُزعِج أصل حريفه بالرمي والرجم. فأكلوا أنفسهم كالديدان، وفسّحوا الأمر لأعداء الدين وأهل الطغيان، وتركوا التقوى وحاسدوا على الأدْران، وأسرّوا نفوسهم وأغضبوا الله الرحمن. فلُطِمَ الإسلامُ

مِن فسادٍ أَنْفُسِيٍّ وآفاقيٍّ، وأعرضَ مِن مواساته كلُّ قلبٍ نِفاقيٍّ. وكنت أرى كلّ ذلك وأساقي، وعبراتي يتحدّرن عن مآقي، وزفراتي يتصعّدن من التراقي، فتوكّلتُ على الله الباقي. فإذا هبّتْ نسيمُ الإلهام على جناني، وجاءت بِرَيّا التبشيرِ ورفعِ مكاني، فأُمرتُ وأُرسلتُ لإصـــلاح هذا الفساد، وإزالةِ ذلك النادِ. إن مع الجدب حِـــصبًا◆، إن مع الجدب حِصبًا◆. فاتّقوا الله، ومَهْلاً تعجُّبًا. ومـــا كان طروقي في غير حينه، بل عند حَدْلِ النـــاس إلـــى الظلمة وتَرْكِ نبراس الله وأنوارِ دينه. وجئتُ في وقـــت كانت الملّة في مماراةٍ مشتدّةِ اللهوب، وكانت الأمّة في أمواجٍ مُرجِدةٍ للقلوب، وكان الناس أخذوا طرق الإلحادِ والإباحة والفساد، وتركوا ســبيل الرشـــد والـــصلاح والسداد، وكان العلماء لا يرون مَلَدَ القـــرآنِ وغَيـــدَه،

◆ *كذا في الأصل، ولعلها: خِصبًا. (الناشر)*

ورشاقتَه وفي حُلل النور مَيدَه. وكانوا عفروا اللؤلؤ بالاستحقار، وحسبوا كتاب الله خاليًا من المعارف والأسرار، فاتخذوا عارِفَها سُخْرةً ومهجورًا بالاقْمِطْرار، وقطعوا الأُخوّة بالاكْفِهْرار. ومع ذلك كانت مباراة المذاهب بطريق الاستدلال ودَخْلِ العقول، لا بفوارس على صهوات الخيول، وكانت عادة أبناء الزمان قد جرتْ واستحكمتْ لامتحانِ الحُسن والجمال، والنظرِ إلى الشمائل وأنواع الكمال. وكان الإسلام قد لُوّحتْ خدودُه وجبهته، وبُدّلتْ هيئتُه وصورته، وأُخْفيت طاقتُه ولياقته، وكُتمتْ ملاحتُه ورشاقته، وكان هذا هو السبب الذي جرّأ المخالفين على الإنكار، فزاغوا في الظنون والاستحقار. فبعث الله رجلاً لإعلاءِ شأن كلامه، وإظهارِ أسراره وإعلان معارفه، وإراءةِ تضوُّعِ مِسكه وفَضِّ ختامه، فالقومُ ردّوه ولم يقبلوه، وطردوه

ولم يأْووه، وسبّوه ولم يشكروه، وأهانوه ولم يـــوقِّروه، ولم ينظروا إليه كما ينظر مرموقُ الاهتداءِ، مومـــوقُ الإخاء، وشطّوا في خوضهم حدودَ الاتّقاء، وقالوا: لقـــد جئتَ إدًّا، وجُزتَ عن الملّة جدًّا. فلم يلبثوا حتـــى نهـــد منهم إليّ بطّال لإكفاري، وكيف ينطفئ نور الله مِن فُوهِ بَطالويٍّ ◈ عاريٍّ، ولكنه سعى كلّ سعيه لمحوِ أشـــعّة الحقّ وإطفاء أنواره، وتبديدِ أعوانه وأنصاره، فلم يُغادِرْ جذعًا ولا قارحًا من المستعجلين المتفقّهين، إلا جعَلـــه من اللاعنين المكفِّرين، إلا ما شاء اللهُ ربّ العـــالمين. فكلُّ بُغاثٍ استنسرَ، وكـــلُّ محجـــوبٍ أكفـــرَ وكفـــر، واستهدفَني للنضال وأكثر، وأخرجَ كـــلّ نِجـــاره ومـــا غادرَ. فجعلوا عرضي للسهام عُرضةً، وحسبوه عمـــلاً يزيد قُربةً، وقلّبوا لي الأمور، وأوقـــدوا لـــي التنُّـــور،

◈ ورد في الأصل تحت هذه الكلمة: أي الشيخ البطالوي. (الناشر)

وأرادوا أن يسحتوني ويسحقوني ويسقوني كأس المنايا والآفات، وأراد الله أن يمزّق مكائدهم، ويُــرِيهم مِــن بعض الآيات. هو ربّي، ورحمتُه تكفيني، وله حيــاتي ومماتي وتجهيزي وتكفيني. هو حِبِّي كثيــرُ الــسماح، يأتيني ويسقيني كأســاتِ راحٍ. ذِكــره شــرابٌ يزيــل الأحزان، وحُبُّه شيء أسَرَ أهل الصلاح. لن نفصل مــا وصلْنا له، ولو قُطِّعْنا بالسيوف والرماح. وانظروا إلى آثار رحمته وآيات قبوليّته؛ إن القوم يسعون لإعدامي، وهو يُربِّي عِرْدامي، والقومُ يمكر لقطعِ أصلي وهــدم بنياني، وهو يُنمِي أفناني وأغــصاني، والقــومُ يريــد إطرادي وتحقيري وتوهيني، وهو يُكرمني ويبــشّرني بمراتب ويدنيني.

ومِن مِننِه أنه أحيا قلوبًا يهوون إليّ، وعبادًا يعتكفون لديّ، وأحبابًا يصــلّون عليّ، وأرسلَ في أقطار العــالم

رياحًا تحشر الناس إلينا كأنه فوجٌ نوريٌّ، يقود القلــوب إلى الدين المتين، **أو عَبْقريٌّ بهيروِيٌّ نُورُ الدِّين**●.

فهذا رحمة ربّي وحقٌّ صُراحٌ ما يُبْطله بطالويٌّ وغيرُه، وإنْ بخَع نفسه من حسرات ويطير مِن القالب طــيرُه.

ووالله إن البطالوي ما قصّر في مكائده، بــل ضــمّ بطاليّتَه بفحش لسانه وحصائده. **ولولا هيبـــةُ ســـيفٍ سلَّه عدلُ سلطنةِ البرِطانيةِ لــحَثَّ الناسَ علـــى سفك دمي، وجلَب رَجِلَه وخَيْلَه لِحسمي وحطمي، ولكن منَعه مِن هذا رُعْبُ هذه الدولة ولمعانُ تلك الطاقة. فنشكر الله كلّ الشكر على ما آمَنَنا مِــن كلّ خوف تحت ظلّ هذه الدولة البرِطانية المباركة**

● *ورد في الأصل تحت هذه الكلمات باللغة الفارسية ما معناه: أي أخونـــا المولوي الحكيم نور الدين البهيروي، فإن مؤاساة الإسلام هي الصفة الغالبـــة فيه، ولذلك فإنه يشابه انتشارَ النور السماوي، وذلك فضل الله. (الناشر)*

للضعفاء وكهْفِ الله للفقراء والغرباء، وسَوْطِ الله على كلّ عتيد ذي خيلاء. ثم وجب علينـــا شـــكرُ إحسانات القيصرة العادلة، التي يخاف أَخْذَها قلبُ الحادل والحادلـــة. وكيـــف لا نـــشكرها وإنّ الله عصمنا بهذه السلطنة مِن حلول الأهوال، وطمس بها آثـــار الظلـــم، وأنـــــزل علينـــا مـــن الآلاء والأموال. اللّهم فاجْزِ تلك الملِكةَ منّا خير جزائك، وانْصُرْها على أعدائها وأعدائك، وأَدْخِلْها مِن كلّ شرّ في ذُراك وارزقْها من نعمائك، واهْدِ قلبهـــا وقلب ذراريها إلى دينك دين الإسلام، ونَجِّهم مِن أنفِ الشِّركِ واتخاذِ العبد إلـــهًا ونَجِّهم من جميع الآلام. ربِّ أَحْسِنْ إليهم كما أحسنوا إلينا، واجعلْ أفئدةً منهم يقبلون دينك في زمان حيـــاتي، ربِّ

أَنْــزِلْ عليهم مائــدةً مــن بركاتــك واسْــتجِبْ دعواتي، آمين ثم آمين.

ويا عجبًا كلّ العجب! هذا قوم يقال له الكفار، وذلك حزبٌ يقال لــه الإخوان والأنصار. فيا حِزبَ إخــوانٍ شرٍّ من الأعادي، هلمّ إلى ما تُنجّي يوم التنــادي، ولا تطيلوا سوءَ ظــنّكم بــالإخوان، واتقُّــوا الله مــصرِّف الملوَيْن. أليس منكم رجلٌ رشيد يخاف المآل، ويذَر اللَّدَد والجدال؟ أتعلمون ما تواجهون، وإلى من تتوجّهــون؟ أتُكفِّرون فِرق الإسلام باختلاف الفروع، وتــأبون مــن المندوب والمشروع؟

وها أنا أشهد بالرّب العظيم، وأحلِف بــالله الكــريم، على أنني مؤمن مسلم موحِّد متّبع لأحكــام الله وسُــنن رسوله، وبريءٌ مما تظنّون ومِن سُمِّ الكفــرِ وحلولــه. وإني لا أرى لغير الشرع عزّةً، ولا لعالِمِــه درجــةً.

وآمنت بكتاب الله، وأشهد أن خلافه زندقةٌ، ومَن تفــوّهَ بكلمة ليس لـــه أصلٌ صحيح في الشرع، مُلْهَمًا كان أو مجتهدًا، فبِهِ الشياطينُ متلاعبة. وآمنت بأنّ نبيّنا محمد ﷺ خاتَمُ الأنبياء، وأن كتابنـــا لقــرآنٌ كــريم وســيلة الاهتداء. لا نبيّ لنا نقتدي به إلا المصطفى، ولا كتاب لنا نتّبعه إلا الفرقان المهيمن على الــصحف الأُولـــى. وآمنتُ بأن رسولنا سيّدُ وُلْدِ آدم وسيّدُ المرسلين، وبـــأن الله ختم به النبيّين، وبأن القرآن المجيد بعد رســول الله محفوظٌ من تحريف المحرّفين وخطـــأِ المخطــين، ولا يُنسخ ولا يزيد ولا ينقص بعد رســول الله ولا يخالفـــه إلهامُ الملهَمين الصادقين. وكلّ ما فهمتُ مِن عويصات القرآن أو أُلهمتُ من الله الرحمن، فقبِلتُه على شــريطة الصحّة والصواب والسَّمْتِ، وقد كُشِفَ عليّ أنه صحيح خالص يوافق الشريعة لا ريب فيه، ولا لبْس ولا شـــكّ

ولا شبهة، وإنْ كان الأمرُ خلاف ذلك على فرض المحال، فنبذْنا كلّه مِن أيدينا كالمتاع الرديِّ ومادةِ السُّعال، وآمنّا بمعاني أرادها الله والرسول الكريم، وإن لم نعلمْها ولم يُكشفْ علينا حقيقتُها من الله العليم. وعندنا نصوصٌ وآيات وبراهين على صحّتها سنذكرها في موضعها ووقتها، نردُّ بِها على الذين اعتادت قلوبُهم زُورًا، وقذفتْ أقلامُهم لغوًا موفورًا، وهم لا يقرؤون كتابي، ولا يتدبّرون في جوابي ولا يتفكّرون. فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون.

وما أردنا للمخالفين في ذلك الكتاب إلا جواب أوهامهم وإسحات إلزامهم، وأما طريق السبِّ بالسبّ واللعن باللعن والذبّ، فالكتابُ نُزِّهَ عنها، وفُوّض الأمر إلى الله ربّ السماء.

يا معشر العلماء، لا تدخلوا في علم الله وأسـرار ه، ولا تجرؤوا على قولٍ ما أُعطيتم مِن علم دِثـارِه. ولا يختلبْكم حياةُ الدنيا وخضراؤها، ولا يفتتـنّكم صَـرْخُ صارخةٍ وضوضاؤها. وإني أعزِمُ عليكم بالله الرحمن، أن تذَروني مجـادلاً بأعـداء المـصطفى والفرقـان، وتُمِدُّوني بكفّ اللسان، إنْ أَكُ صادقًا فسوف يُريكم الله صدقي وثباتي، وإنْ أَكُ كاذبًـا فكفـى الله لإجحـاتي وإسحاتي. فلا تُشمِتوا بـي الأعـداءَ، ولا تعتـدوا ولا تطيلوا الإيذاء. ولَعِلْمُ الله أَوْسعُ من عِلمكم، هو يعلم في نفسي ما لا تعلمون. وإن لم تنتهوا فستُرجعون إلى الله ثم تُسألون.

وأمّا الأمر الثاني الذي ألجأَني إلى ذِكركم بذكر إمام الأقاصي والأداني ﷺ، فاعلموا، يـا شَـرْخَ المـسلمين وشيوخَ المؤمنين، أني أردت مِـن ترتيـبي هـذا أن

أستنــزل رحم الله عليكم وتوبتَه بالتوسل بخاتَمِ الأنبياء وأصفى الأصفياء. فاشْهدوا أني أَمُدُّ إلى الله يد المسألة لكم، وأطلب منه هَدْيَكم. ربِّ يا ربّ، اسْمعْ دعائي في قومي، وتضرّعي في إخوتي. إنّي أتوسّل إليك بنبيّــك خاتم النبيّين، وشفيعٍ ومشفَّعٍ للمذنبين. ربِّ أَخرِجْهم من الظلمات إلى نورك، ومِن بيداء البُعْدِ إلى حــضورك. ربِّ ارْحمْ على الذين يلعنون عليّ، واحفَظْ مِــن تَبِّــك قومًا يقطعون يديّ، وأَدخِلْ هداك فــي جِــذْرِ قلــوبهم، واعفُ عن خطيئاتهم وذنوبهم، واغفِرْ لهــم وعــافِهم، ووادِعْهم وصافِهم، وأَعْطِهم عيونًا يبصرون بها، وآذانًا يسمعون بها، وقلوبًا يفقهون بها، وأنوارًا يعرفون بهــا، وارْحمْ عليهم، واعفُ عمــا يقولــون، فــإنهم قــوم لا يعلمون.

ربِّ بوجهِ المصطفى ودرجتِه العليا، والقائمين في آناء الليل والغازين في ضوء الضحى، وركابٍ لك تعدُّوا● السُّرى، ورحالٍ تُشَدُّ إلى اُمِّ القرى، أَصلِحْ بيننا وبين إخواننا، وافتَحْ أبصارهم، ونَوِّرْ قلوبهم، وفَهِّمْهم ما فهّمتَني، وعَلِّمْهم طرق التقوى، واعْفُ عما مضى. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ السماوات العُلى.



● *هكذا في الأصل، وربما الصحيح: "تَعدُو السُّرى"، أي: تجري وقتَ السير ليلا، أو "تُعَدُّ للسُّرى"، أي: تُجهَّز للسير ليلاً. (الناشر)*